نفائس المعاني في

هداية القرآن والسبع المثاني

أ. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي

أستاذ الإعلام الإسلامي

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشنقيطي، سيد محمد ساداتي
نفائس المعاني من القرآن والسبع المثاني. / سيد محمد ساداتي
الشنقيطي. — الرياض، ١٤٢٥هـ
٩٣ص ؛ ٢٤ سم
ردمك: ١-٩-٩٥٦٠-٩٩٦٠
١- القرآن مباحث عامة أ- العنوان
ديوى ٢٢٩ ١٤٢٥/٥٢٠٠

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٥٢٠٠
ردمك: ١-٩-٩٥٦٠-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هـاتف: ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤/٣٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علماً والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار. وبعد:

قد كان من الدروس المستفادة مما أصابني أخيراً أن المسلم ينبغي أن لا تضيع منه ثانية في غير طاعة، وأن يكثف جهده وطاقاته وإمكاناته فيما يعود عليه وعلى أمته بنفع مادي أو معنوي. وقد كنت بدأت من قرابة سنة دروساً في تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى، وواكب هذا التوجه رغبة صادقة في أن تكون المحصلة العلمية النهائية لهذا الجهد كتاب تفسير يركز حول معاني الهداية في كتاب الله ولا يدخل في كثير من التفصيلات التي تعج بها كتب التفسير .. وقد خطوت بعض الخطوات في هذا السبيل وكنت قد أسميته «التبيان في هداية القرآن». ولكني من خلال ما مر لي رأيت أن الوقت الذي قد يستغرقه هذا الكتاب وقت طويل طويل، مما يجعل النفع المرجو منه يتأخر كثيراً لطول هذا الوقت، ويتوقف على الانتهاء منه والذي لا أتوقع أن يكون قريباً، ومن ثم لاح لي وأنا في سرير الشفاء أن أبادر إلى خطوة عملية أرجو أن تكون ثمرتها نفعاً للمسلمين يمكنهم أن يؤسسوا حياتهم في أبعادها المختلفة على هداية كتاب الله سبحانه وتعالى، وأن يصدروا عن كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام في كل شأن من شؤون حياتهم، سواء أكان هذا الشأن

مما يتعلق بعبادة الله سبحانه وتعالى أو مما يتعلق بالعلاقات التي ينبغي أن تسود بينهم، أو فيما يتعلق بالعلاقات التي ينبغي أن تكون بينهم وبين الأقوام الكافرة، وفيما يتعلق بقضايا الحياة كلها بجوانبها المختلفة، سواء الجوانب السياسية أم الاقتصادية أم المعرفية أم غيرها. وهذا في الحق – والله – مطلب نفيس وغالٍ، ولست أهلاً للتصدي له، لكني رأيت من باب التحدث بنعمة الله، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ رأيت من خلال مراجعتي لكتاب الله أثناء المرض وطول تدبره بعيداً عن مشاغل الحياة، وبعيداً عن «ملماتها» أن بالإمكان أن يقدم المرء جهداً جديداً في بابه أجزم أنني لم أر توجهاً مماثلاً له في كتب التفسير التي رجعت إليها في مكتبتي وقد قاربت الستين تفسيراً، في بعضها جوانب متعلق بالهداية عظيمة ومفيدة وستكون عوناً لي في توجهي الجديد، وفي بعضها جهود عظيمة كبيرة لكن أصحابها ربطوها بتخصصاتهم العلمية فغلب على تفسير هؤلاء ما يمتاز به صاحبه من طول باعٍ في مجال تخصصه، وكلها خدمة لكتاب الله جل جلاله. وقد رأيت أن أطلق على هذا الجهد الجديد اسم: «نفائس المعاني في هداية القرآن والسبع المثاني» [1] وليس معنى هذه التسمية أن ما قد أصل إليه من

---

١١) هذا الكتاب في الحقيقة هو جملة خواطر بدأ المؤلف بتسجيلها أثناء وجوده في العناية المركزة بمستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض يوم الثلاثاء ١١/ ١/ ١٤٢٥هـ، وانتهى من تسجيله ومراجعة ما فُرِّغ من الأشرطة من قبل الأخوين الكريمين محمود صقر وعمر الشنقيطي، عصر يوم الجمعة ١٤/ ٥/ ١٤٢٥هـ. فجزى الله خيراً كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب سواء بتفريغ الأشرطة أو بقراءة ما فرغ أو مراجعة الكتاب في صورته قبل النهائية.

جهد في سبيل إصدار كتاب يحتوي جل هداية الكتاب الكريم في شؤون الحياة كلها أني سآتي بما لم تأت به الأوائل، لكن محاولة إخراج هذه الهداية بشكل مجملٍ مختصرٍ مفيدٍ يجلبها للناس ويجعلها متاحة لهم بصورة لا تكلف فيها ولا تعسف هو الجانب الجديد حقاً في الموضوع.

وإني كما أسلفت كنت قد رجعت إلى جملة من التفاسير غير قليلة، ولم أر منها ما يتوجه هذه الوجهة، ولم أكن شخصياً أتوجه هذه الوجهة قبل الفترة التي أشرت إليها. نعم كنت حريصاً أن يكون جهدي في تفسير كتاب الله منصباً على معاني الهداية وبتوسع، لكن لم يكن من توجهي أن أخرج هذا الضرب من التفسير المختصر. حقاً هناك تفاسير كثيرة مختصرة بعضها بيان معاني كلمات كتاب الله، وبعضها نبذة مختصرة جديدة، وبعضها له دلالة على الاسم لكن من غير توسع ولا ضبط لموضوعات الهداية بالصورة التي أفكر فيها. وينبغي أن يعلم أن القرآن العظيم من أول ما نزل هو محور حركة العلم ومرتكزها عند المسلمين، حيث انطلق المسلمون في جهودهم المعرفية والعلمية من القرآن العظيم خدمة له وحرصاً على أن يكون ما يصلون إليه من علم قائماً على الدليل والبرهان الذي لا يمكن أن يطعن فيه. وكان القرآن العظيم مستند المسلمين الأوائل في شتى مناحي الحياة العلمية، ونالت علوم القرآن بالذات عناية خاصة، فتبارى العلماء والفضلاء للاهتمام بها خدمة لكتاب الله وتمكيناً للمسلمين من معرفته ووضع ما فيه من هدى وصلاح موضع التنفيذ. لكننا في الآونة الأخيرة شهدنا ظهور تيارات فكرية عديدة وغزوها للمسلمين، وتأثر الحياة الفكرية بهذا الضرب من الأفكار الغازية، لم يعد المناخ

الفكري لحياة المسلمين بصفائه ونقائه كما كان عليه أيام عهود المسلمين الأولى. ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى الذي أنزل القرآن خاتمة لكتبه ومهيمناً عليها، أنزله على محمد - عليه الصلاة والسلام - بين الغاية من إنزاله بقول جل جلاله: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝ ﴾ [(١)].

وهو جل جلاله الذي يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [(٢)] التي هي أقوم في كل شأن، في العقائد والأخلاق والآداب، وكل شأن من شؤون الحياة.

وهو جل جلاله الذي يقول: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝ ﴾ [(٣)]، ومعلوم أن الاتباع يقتضي الإدراك العام للمعنى، وأن المرء الذي يريد أن يجعل الشيء نصب عينيه حتى لا يخطو خطوة إلا وِفْقَهُ، يحتاج إلى أن يكون على بينة تامة بالمعنى الذي يريد أن يؤسس عليه عمله. ومن ثم كان أي جهد يحقق هذا المعنى للمسلمين مما يرجو صاحبه ذخره وأجره يوم يلقى الله جل جلاله. ولهذا رأيتني وأنا على سرير الشفاء أفكر في هذا الأمر كثيراً، أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، لكنني كما ذكرت أن من الدروس التي خرجت بها من هذا المرض هو المبادرة والإيجابية في

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

الحياة، ولا شك أن من أبرز الجوانب الإيجابية أن يحقق المرء نفعاً لنفسه وللمسلمين حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**خير الناس أنفعهم للناس**» (١).

ولا شك أن أهم شيء لنفع الناس هو تمكينهم من السير على الصراط المستقيم في غير اعوجاج ولا شطط والله جل جلاله يقول: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٢)، والكشف عن هذا الصراط بكل ما تعنيه كلمة الكشف هو ما أقصد به هداية القرآن، إذ أنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه للعمل به، حقاً هو كتاب مبارك، وحقاً كذلك هو كتاب أنزل للناس للعمل به، وبيانه حتى تظهر معانيه للناس فيقبل الناس عليه ويوقفوا حركتهم على ما أدركوه منه بصدق ويقين، وهو ما كان يمثل وظيفة الرسول – عليه الصلاة والسلام – : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣). وإخراج كتاب يكشف عن هداية القرآن والسبع المثاني في صفحات ليست كثيرة، وفي شكلٍ يكشف عن ترابط عجيب بين آيات هذا القرآن وسوره وصلته بحركة الحياة وارتباطه بها لتمكين الذين ينطلقون من قيادتها نحو مبتغى كل عاقل وهو رضوان الله جل جلاله ودخول جنته، مما تثقل به الموازين ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عمر وانظر صحيح الجامع: ٣٢٨٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

الكريم، نافعاً للمسلمين، نافعاً لكل من قرأه، وكل من تدبره، وكل من أعان على إخراجه، نافعاً لصاحبه قبل ذلك في دينه ودنياه، نافعاً له في النجاة من عذاب الله يوم القيامة والفوز برضاه، محققاً له وللمسلمين ما يصبون إليه من عز وسؤدد، ونحن في هذا الزمان الذي بسط فيه الكفار سيادتهم على العالم ندرك يقيناً أن إعادة السيادة للمسلمين ونزعها من يد الكافرين وإنقاذ البشرية من ظلمهم وإفسادهم وجورهم وانتهاكهم الحرمات والمقدسات سبيله الحق وربط الناس بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يدركوا أنهم الأعلون، لكن متى ..؟ ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٢).

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (٣).

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (٤).

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٠.

جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [١] . ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [٢] . وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٣] . لهذا أرجو أن يكون هذا التوجه وهو إخراج معاني الهداية من كتاب الله كله في صورة مجملة ومؤسسة على الدليل القرآني والسنة النبوية هو ما نرجو أن يكون من أقرب السبل لتحقيق هذا الهدف ونزع السيادة من يد الكافرين وإعادتها إلى يد المؤمنين رحمة بالإنسانية خلق الله وشفقة عليهم وإنقاذاً لهم من النار وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

□□□□□

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٦، ١٩٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

أول نص في الكتاب الكريم هو قوله جل جلاله: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وهذا النص الكريم آية مستقلة حيث وردت كما يرجحه كثير من العلماء، وهذا الكتاب لا يدخل في تفاصيل الاختلافات في مثل هذا الموضوع، لكن ما يهمنا هو الوقوف عند هداية النص الكريم.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ تالي النص من المسلمين يعلم يقيناً أنه أمام نص مرتبط بالحركة في الحياة، والمسلم يعلم أن أبا البشرية آدم – عليه السلام – مكلف بإعمار الأرض وجعله الله خليفة قال تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [١] جعله الله خليفة لإعمار الأرض وفق أمر الله ونهيه، ومن ثم فالإعمار يتطلب حركة وعملاً وجهداً، هذا العمل يبدؤه المسلم ببسم الله. ومن غير إطالة نحو المراد ببسم الله، هل هو ابتدائي باسم الله، أو أبدأ باسم الله، فإننا نرى أن أبدأ باسم الله هو الذي يؤكد الصلة بين معنى الحياة التي تؤسس الحركة فيها على أمر الله ونهيه، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [٢] اقرأ عمل، والله يقول: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾، ونوح – عليه السلام – عندما أمر من نجاهم الله من الطوفان في السفينة قال لهم: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١ ﴾ [٣] فإذاً تالي هذا النص الكريم يشعر بالارتباط الوثيق بينه وبين حركة الحياة، ويستخلص منه أنه لا ينبغي أن يصدر منه عمل إلا وهو

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة العلق، الآية: ١.

(٣) سورة هود، الآية: ٤١.

مؤسس على الارتباط الوثيق باسم الله جل جلاله ولا يصدر منه عمل إلا وهو مؤسس على أمر الله ونهيه، وهذا في حقيقة الأمر معنى عزيز قل من يدركه من المسلمين، وقل من يعيه حق الوعي، ومتى ما نظرنا إلى هذا المعنى وربطنا بينه وبين الغاية من خلق الجن والإنس في قوله جل جلاله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(١)]. وربطنا بينه أيضاً وبين تحمل الإنسان للأمانة التي عرضها الله عليه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [(٢)] متى ما أدركنا هذه الصلة الوثيقة بين معنى ابتداء الحركة ببسم الله، وبين الغاية من خلق الإنس والجن، وبين الأمانة التي حملها الإنسان، أدركنا شدة صلة النص الكريم بمعنى الحياة الشامل الذي لا تند عنه خالجه في النفس، ولا كلمة على اللسان، ولا عمل بالجوارح، والمرتبط بالعبودية المطلقة لله جل جلاله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [(٣)]. وأدركنا لأي مدى كان إدراك المعنى بين القرآن العظيم وبين الحياة وضرورة رشدها وصلاحها كان ذلك بداية الطريق في تصويب الحركة وسداد الحكم واستقامة الحياة، فالله الذي باسمه نتحرك موصوف بأنه «الرحمن الرحيم». وخلاصة أقوال المفسرين في هذين الاسمين

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

الكريمين أن الرحمن عام، الرحمن ذو رحمة تعم الخلق جميعاً، والرحيم ذو رحمة خاصة بالمؤمنين. والحق أن نصوص القرآن تؤكد أن كلاً منهما يثبت أن الله سبحانه وتعالى ذو رحمة عامة بخلقه، أنه رحمن للخلق جميعاً، وأنه رحيم بالخلق جميعاً.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [١] . وقوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢] ومن الغريب حقاً أن هذا النص الكريم وهو «بسم الله الرحمن الرحيم» قد اشتمل على ثلاثة أسماء لله جل جلاله، الله، والرحمن، والرحيم، اسمه الرحمن وصفته الرحمن، واسمه الرحيم وصفته الرحيم؛ وهذان الأمران متعلقان بلفظ الجلالة فالرحمن الرحيم يتناولان ما زاغت عنه الأبصار فيما يتعلق بتوحيد الألوهية وما زاغ فيه أهل الزيغ والضلال من الفرق فيما يتعلق بصفة الله جل جلاله، وهذا أمر – والله – لافت للنظر حقاً، فأول نص يطالعنا في كتاب الله يثبت لله سبحانه وتعالى الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه والتي ينبغي أن يؤمن المسلم بها إيماناً كاملاً وأن يدعو الله بها. ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [٣] .

وهو تأكيد للعلاقة الوثيقة بين الخالق جل جلاله وبين المخلوق الذي خلقه، كم هي علاقة ثنائية عجيبة بين عابد ومعبود، بين غني وفقير. ﴿ وَلِلَّهِ

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [١] .. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [٢] .. ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [٣] .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ [٤] .

هذه الثنائية العجيبة التي ظهرت من خلال الوقوف عند آية البسملة أكدت أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ يعني أيها المخلوق افعل ما آمرك مستعيناً بي وليس بغيري. ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [٥] .﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [٦] حمدٌ وثناءٌ على الله والذي يستحق الثناء المطلق هو الله جل جلاله سواءً أخذ بقول العلماء فيما يتعلق بأن الجملة اسمية كما هي صيغتها ولكنها في هذه الصيغة تحمل معنى الإنشاء، أي قولوا الحمد لله. ففي هذا النص الكريم «الحمد لله» دلالةً

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) سورة الحج، الآية: ٦.

(٥) سورة طه، الآية: ١٤.

(٦) سورة الفاتحة، الآيتان: ١، ٢.

واضحة على تلك العلاقة العجيبة؛ هناك إله منعم متفضل يستحق الشكر والثناء، بل هو وحده المستحق لذلك، وهناك عابد يوجه بهذا النص الكريم عقب تعرضه لنعم الله ونفحات فضله إلى أن يحمد الله الذي خلقه والذي رزقه والذي يمنّ عليه بالصحة والعافية والذي لا يستغني عنه طرفة عين ولا أقل. قال قل الحمد لله، وقد ورد النص بهذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [١] وغيرها من الآيات الكثيرة.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [٢].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [٣].

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٤].

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [٥].

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٦].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ ﴾ [٧].

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٨].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٦) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.

(٨) سورة الحجر، الآية: ٩٨.

﴿ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ (٢).

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ (٣).

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ ﴾ (٤).

﴿ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٥).

﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦).

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ﴾ (٧).

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ ﴾ (٨).

﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٩).

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٢٨.

(٦) سورة النمل، الآية: ١٥.

(٧) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٨) سورة النمل، الآية: ٩٣.

(٩) سورة القصص، الآية: ٧٠.

(١٠) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٣).

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (٤).

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ (٥).

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (٦).

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (٧).

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨).

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ (٩).

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ ﴾ (١٠).

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١١).

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٨.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٥.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٤.

(٧) سورة الصافات، الآية: ١٨٢.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٩) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

(١٠) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(١١) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ (١).

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (٢).

﴿ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣).

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ (٤).

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ ﴾ (٥).

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ (٦).

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٧).

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ (٨).

تمثل هذه الصلة إذن نصاً صريحاً في أن العبد في هذه الصيغة سواءً اعتبرت «الحمد لله» من الجمل الاسمية أو من الجمل الخبرية وتعني احمد الله سبحانه وتعالى، فإن صيغتها واضحة الدلالة على أن المقصود هو تأكيد العلاقة بين الخالق والمخلوق، وأن من شأن المخلوق أن يظل على صلة وثيقة

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٣٦.

(٦) سورة ق، الآية: ٣٩.

(٧) سورة الطور، الآية: ٤٨..

(٨) سورة التغابن، الآية: ١.

بالله جل جلاله، وأن يظل قلبه معلقاً بالله، وأن لا يسأل غير الله، ولا يطلب إلا الله، ولا يدعو إلا الله، ولا يسجد لغير الله، وألا يعبد مع الله أحداً. ولفظ الجلالة المسبوق بلام الجر «لله» هو بيان لأحد أقسام التوحيد الأساسية التي كانت حجر الزاوية في الحقيقة بين رسل الله – صلوات الله وسلامه عليهم – وبين الكفار. فالمعبود بحق هو الله جل جلاله. فتوحيد الألوهية، وهو توحيد الله جل جلاله بأفعال العباد، هذا القسم من أقسام التوحيد هو الذي قامت عليه الخصومة، وهو أول اسم من أسماء الله بدأت به السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ ، وفي قوله تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .

وإذا كان المستحق للعبادة هو الله جل جلاله وحده، فقد شفع هذا الاسم الكريم باسم آخر كأنه يقوم مقام الدلالة على أن المستحق للعبادة هو الله وحده لأنه رب العالمين المربي لهم بكل أصناف التربية، سواءٌ كانت التربية دينية أو عقلية أو بدنية، الرازق لهم، المحيي، المميت، النافع، القوي، القهار، وهذا النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد الله جل جلاله بأفعاله، مما كان يقربه الكافرون، ولم يكن ينفعهم من دون إقرارهم بالقسم الأول، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [١]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٢]، والله جل جلاله يقول: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [٣] فإذن رب العالمين هو الاسم الثاني والرب هو الله جل جلاله، رب من غير إضافة، هو الله جل جلاله. وقد

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٦.

تخرج صيغة رب من غير تعريف للمخلوقين من مثل رب الدابة ورب البيت، ورب الأسرة، وغير ذلك من المعاني التي تدل على أن السيد المطاع في أمره قد يطلق عليه رب كذا، لكن الرب الذي يخضع له الخلق جميعاً بهذه الصيغة المعرفة لا يطلق إلا على الله جل جلاله.

«رب العالمين» رب من؟ ربي وربك، ربي الله، ربي وربك، ورب جميع العالمين، وكل ما سوى الله عالم. وكل ما سوى الله مربوب لله جل جلاله، الملائكة، الشياطين، الإنس، الجن، الطير، الدواب، الحشرات، المخلوقات كلها مربوبة لله جل جلاله، وما دام أنه لا يوجد إلا خالق ومخلوق فالأصل أن يكون هناك تنظيم دقيق للعلاقة بين الخالق والمخلوق، وتنظيم دقيق للعلاقة بين المخلوقين أنفسهم، وهذا النص الكريم «الحمد لله رب العالمين»، فرب العالمين هو الذي وحده جل جلاله يستحق العبادة، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [1] إنها عبودية قهر لا ينفك عنها مخلوق كائناً من كان. إذن، ليس هناك إلا خالق ومخلوق، وحتى يسعد المخلوق ينبغي أن يكون مطيعاً لسيده، مطيعاً لربه، مطيعاً لخالقه، واقفاً عند أمره ونهيه.

ثم يلي الاسمين ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الاسمان اللذان سبق الحديث عنهما في أول آية من القرآن الكريم وهي قوله جل جلاله: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ لتؤكد هذه العلاقة، وتؤكد أن الذي خلق هو الرحمن بعباده وهو الرحيم بهم كما بينا من قبل ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) سورة مريم، الآية: ٩٣.

وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢] ، ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ وما المطلوب؟

﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [٣]. ولا ينتهي الأمر عند هذا بل يأتي قوله جل جلاله: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [٤]. إذن هذا الرب الذي لا يصح ولا يجوز أن يصرف شيء من العبادة إلا له موصوف بصفات تؤكد أهمية الإيمان بالله سبحانه وتعالى إلهاً ورباً موصوفاً بصفات الرحمة، موصوف بأنه هو الرحمن وهو الرحيم، وهذا هو القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو توحيد

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة المزمل الآية: ٢٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الزمر، الآيات، ٥٤-٦٢.

الأسماء والصفات، وهو أيضاً من أقسام التوحيد التي لم يؤمن بها الكافرون، والتي ألحد فيها الملحدون: ﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ ، وقد تقرر أنه لا بد من إثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ما أثبته الله لنفسه لا يحق لبشر كائناً من كان أن ينفيه عنه، وما أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي لا ينطق عن الهوى لا يصح بحال أن ينفيه عنه أحد كائناً من كان، ولما كان الإيمان بأسماء الله وصفاته من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل هو المنهج السلفي القويم فنحن نؤمن بذات غير مكيفة، ونثبت لهذه الذات ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، نثبتها لله على ما أراد الله جل جلاله فهو سبحانه وتعالى الحي، وهو الغني، وهو القدير، وهو الرؤوف، وهو الرحمن الرحيم، إلى غير ذلك من أسماء الله وصفاته «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» [1]. أو كما قال صلى الله عليه وسلم . وكما في المسند عن ابن مسعود، حدثني أبي، حدثنا يزيد، أخبرنا فضل بن مرزوق، حدثنا أبو سلمة الجهني، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن (اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته**

(١) البخاري، ٣٢٨٤.

أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي)، إلا أذهب الله عز وجل همه، وأبدله مكان حزنه فرحاً، قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «**أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»[(١)].

فلله سبحانه وتعالى أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى ولا أجلّ من الله، ولا أكبر من الله جل جلاله. وفي الحديث القدسي الذي قال الله فيه: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد الحمد لله قال الله مجدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين قال الله: مجدني عبدي وقال مرة: فوض إلي عبدي – فإذا قال** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال:** ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾ **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**»[(٢)]. وهذا الشطر الأساسي الآخر من أركان الإيمان هو الإيمان بالبعث والنشور، يوم القيامة، يوم الدين والحساب. ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ ﴾[(٣)]، ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ ﴾ هناك نصوص قرآنية كثيرة تؤكد أن الملك يومئذ لله، والملك اليوم أيضاً لله، لكن هناك من يدعي ملكاً في هذه الدنيا ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ

---

(١) أخرجه أحمد عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

تَجْرِى مِن تَحْتِىَ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [١]، لكنه في حقيقة الأمر ليس الملك الحقيقي، ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [٢]. ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٣].

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٢ ﴾ [٤]. ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ [٥]. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [٦]. ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [٧]. ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ [٨].

﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [٩].

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [١٠].

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١١].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٢) سورة الملك، الآية: ١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٦.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢٥.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٢٥.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٩) سورة ص الآية: ١٠.

(١٠) سورة الزمر، الآية: ٦.

(١١) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (١).

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ (٢).

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ (٣).

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ (٤).

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٥). ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ (٦).

﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝ ﴾ (٧).

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ ﴾ (٨).

هذا الركن من أركان الإيمان التي تمثلها الأصول الثلاثة، الإيمان بالله، والإيمان بالرسالة، والإيمان بالبعث والنشور، ومستلزماتها من أركان الإيمان التي بيناها فيما مضى.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٥.

(٤) سورة الجاثية الآية: ٢٧.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١٤.

(٦) سورة الحديد، الآية: ٢.

(٧) سورة الحديد، الآية: ٥.

(٨) سورة التغابن، الآية: ١.

إذن لاحظ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ تمثل خلاصة ما مر من بيان لتأكيد العلاقة بين الخالق والمخلوق، إذ الثنائية التي مرت بأنه لا يوجد إلا خالق ومخلوق وأن العلاقة بينهما ينبغي أن تؤسس على ما جاء عن الله جل جلاله وإلا خسر من يخرج عن هذا النهج ولم يسلك هذا الطريق.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمكننا من لزومه، وأن يثبتنا عليه، وأن يحيينا عليه وأن يميتنا عليه.

□□□□□

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ .

كما في الحديث القدسي: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» ليس أي صراط إنما هو الصراط المستقيم، ذكره الله في مواضع كثيرة.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣ ﴾ (١) .

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾ (٣) .

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ :

سؤال يسأله العابد لربه المعبود يسأله سؤال تذلل وخضوع وخشوع ورغبة، وإدراك بأن الله جل جلاله هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو القادر على هداية هذا العبد إلى سلوك الصراط المستقيم. نسألك اللهم الهداية لسلوك الصراط المستقيم ولزومه.

﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) .

﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة الزخرف، الآية:٤٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٣.

والصراط المستقيم دلالة واضحة على أن العبد المخلوق مأمور بأن يسلك في الطريق إلى الله جل جلاله صراطاً موصوفاً بالاستقامة اهدنا الصراط المستقيم.

العبد الذي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً رسولاً «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً**» [(١)]. ويقرأ هذه الآيات التي جاءت في أول سورة من الكتاب، وهو قد آمن به، وبإيمانه بدأ السير على الصراط المستقيم، يسأل الله سبحانه أن يثبته على هذا الصراط المستقيم وأن يلهمه الرشد بإحسان السير في هذا الطريق.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ أرشدنا إلى سلوك هذا الصراط المستقيم سؤال لله جل جلاله بالثبات والاستقامة على الصراط المستقيم حتى يسعد في دنياه ولا يشقى في آخرته، ثم يكون همه وغايته وجل مطلبه في هذه الحياة الفانية القاصرة أن يسلك الله به سبيل الرشاد وأن يدله دلالة واضحة كاملة على هذا الصراط وأن يثبته عليه إلى أن يلقى الله سبحانه وتعالى وهو عنه راض.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [(٢)]. ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [(٣)]. ومن ثم كانت حركة هذا العبد سيراً حسناً يوصله إلى مرضاة الله.

---

(١) رواه مسلم عن العباس بن عبدالمطلب برقم ٥٦، كتاب الإيمان.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

في السير إلى ربهم ينبغي أن يكون هم العقلاء أن يكرسوا وقتهم وجهدهم للاستقامة على هذا الصراط، ولا يكون ذلك إلا بإقامة حياتهم على المعاني التي جاء بها الرسول – عليه الصلاة والسلام – متضمنة في القرآن الكريم وما ثبت من بيانه في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. من قول أو فعل أو تقرير ومعنى ذلك أن تكون حياة العبد كلها لله، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (١) . التي شهد الله للرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام أنهم طبقوها أحسن ما يكون التطبيق في قوله جلا جلاله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢) .

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ (٣) .

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٢.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

فكل من أراد السير في طريق الوصول إلى الله سبحانه وتعالى وبما يضمن له سعادة الدارين ينبغي أن يكون شغله الشاغل هو مقتضى هذا الدعاء الكريم: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ لأن في لزوم هذا الصراط حصول سعادة الدنيا وعدم الشقاء في الآخرة، ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝٣٦ ﴾[2]. ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ ﴾[4]. إذن الثنائية التي مرَّ ذكرها فيما مضى من أن الأمرَ آمرُ حياةٍ تنظم فيها العلاقة بين الخالق والمخلوق وأنواع العلاقات الأخرى المتعلقة بالإنسان وارتباطاته في الحياة وحتى علاقته بالكون الذي يعيش فيه لمن يريد السعادة والنجاة لنفسه والوقوف عند أمر الله ونهيه هو: مقتضى هذا السؤال العظيم، الذي نقوله ونكرره في كل ركعة نركعها لله جل جلاله تذكراً واستحضاراً وإيماناً صادقاً بأن من لم يوفقه الله سبحانه وتعالى لسلوك هذا الطريق فلن يسلكه.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

وهذه الثنائية العجيبة التي تتحدد فيها العلاقة بين الله جل جلاله وبين خلقه والتي انقسم الخلق فيها إلى قسمين:

١- قسم يؤمن إيماناً كاملاً بأنه لا نجاة له ولا صلاح ولا سلامة ولا فوز إلا بسلوك هذا الطريق المستقيم.

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢).

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٣).

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٤). لا والله ليس كذلك إذن: ارتباط حركة البشر أو ارتباط حركة الثقلين (الإنس والجن) المكلفين بعبادة الله سبحانه وتعالى.

وارتباط فلاحها وصلاحها وقيمتها وحيويتها مرهون بسلوك الصراط المستقيم لذا رأينا في أول السورة الكريمة في قوله: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أبد كل قول وكل فعل وكل حركة بسم الله وما دام أن الحركة مرتبطة بسم الله فلا بد أن تكون سويةً صالحةً كريمةً خاليةً من كل عيب.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٢) سورة القلم، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

والله الذي خلق العبد الفقير الناقص، هو الذي يعلم ما يصلحه وما يفسده، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [١] . بلى إنه يعلم.

ومن ثم فالذين يدركون حقيقة هذه الرابطة القوية بين المخلوق وربه، بين الإنسان وربه، بين العابد والمعبود ويرتبون على ذلك تحديد الفرق بين المطيع والعاصي، بين الصالح والطالح، بين الفاجر والبر هم الذين يملأ الله قلوبهم نورا .. ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٢] .

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٣] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [٤] .

لذلك قال الله جلا جلاله: ﴿ * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٣.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

﴿ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [1] . وأولو الألباب هم العقلاء الذين أدركوا هذه الحقيقة فآمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، هم الموصوفون بالصفات الكريمة والخلال النبيلة في الآيات السابقة. من هم؟: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2].

هؤلاء العقلاء الذين صبروا عن معاصي الله وصبروا على طاعة الله بالقيام بحق الله تعالى عليهم وصبروا على أقدار الله.

هم الذين يدركون هذه العلاقة الوثيقة بين الخالق والمخلوق.

أما الفئة الأخرى من الناس التي تنكبت عن هذا الطريق واختارت لنفسها أسباب الشقاء فقد وصفهم الله بصفات تكشف عن حقيقتهم وتجسد شخصيتهم التي لا يرغب عاقل أن يتصف بها كما في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟

(١) سورة الرعد، الآية: ١٩.

(٢) سورة الرعد، الآيات، ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ (١).

وضرب المثل من الأساليب التي شاعت في كتاب الله لتجسد المعاني بصورة حسية واضحة يستطيع الناس إدراكها بيسر وسهولة، وكأن الله جل جلاله أخبر أن الفئة التي تدرك المثل على الوجه الذي تنتفع به فئة محددة، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢).

العالمون في سياقنا هذا: هم الذين يؤمنون إيماناً كاملاً صادقاً لا اعوجاج فيه، وهم الذين يوفون بمتطلبات هذا الإيمان من الحركة فلا تغرهم زخارف الدنيا ولا صوارفها الكثيرة، ولذلك ساق الله قصة قارون التي كشفت عن الفروق الواضحة بين من يؤمن ومن لا يؤمن: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (٣).

فماذا قال هذا المتكبر المتجبر: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (٤).

فماذا كان رد الله سبحانه وتعالى عليه: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ

(١) سورة محمد، الآيات، ١-٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٨.

ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [١]. ثم يأتي بعد ذلك بيان موقف الفريقين من المظاهر الزائفة: الذين لا يدركون الحقائق والذين لا يرون ما وراء بصرهم، ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [٢]. أما المؤمنون فكان موقفهم من تلك المظاهرة الزائفة، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٣].

وفي سورة الكهف بيان لتلك الفروق يسوقها الله للناس في قوله: ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٨.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٩.

(٣) سورة القصص، الآيات: ٨٠، ٨١، ٨٢.

خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (١).

كان الأولى أيها المخلوق الضعيف العاجز القاصر أن تسلك السلوك المناسب لنعم الله عليك وأن تشكر هذه النعمة فتقول: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢).

وهكذا ينبغي أن تقابل نعم الله بالشكر والاعتراف ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ انظر إلى حالي وحالك ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ وما آل إليه أمر هذا المتكبر المستكبر ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ النتيجة ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ

(١) سورة الكهف، الآيات: ٣٢ -٣٨.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٩- ٤٤.

ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

خُلق آدم – عليه السلام – وأسكن الجنة وأهبط منها بعد غواية إبليس له ولزوجته إلى الأرض فعاش هو وذريته من بعده على هذه الأرض يعمرونها ولقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها كانت على الإيمان ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾[1] .

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[2] .

كانت هذه القرون كلها على الإيمان بالله وجرت عادة الله سبحانه وتعالى – بعد أن منَّ على الخلق بأن خلقهم على الفطرة، ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] – أن يقوم هؤلاء الرسل بالدعوة وتذكير الناس بالإيمان بالله وتحريك الفطرة في نفوسهم، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٣.

(٣) سورة الروم، الآية، ٣٠.

نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (١).

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (٣).

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٤).

وقد مضت سنة الله أن يؤمن بعض الناس بالرسل ويكفر البعض الآخر وهم الأكثرون فيهلك الله الكافرين وينجي المؤمنين ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٢ - ١٧٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٨.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٢ - ٥٨.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

هذه المسيرة البشرية التي من الله فيها على بعض البشر بالهداية وسلوك الصراط المستقيم وأضل بعضهم عن ذلك وخذلهم بما في نفوسهم، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (١).

وقد فصل الله بين المؤمنين والكافرين كما بسط في سور عديدة ومواضع كثيرة أشملها في نظري سورة الشعراء ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٠٨ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١١٠ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ۝١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ۝١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝١١٥ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ۝١١٦ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ۝١٢٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٢ ﴾ (٢). فقد ذكر الله فيها جملة من الرسل وبين أقوالهم التي يقولونها لأقوامهم ويبين مواقف أقوامهم والنهاية المحتومة التي ينتهي إليها أمر الكافرين. وكذلك في سورة إبراهيم التي بينت أن الرسل جميعاً كانوا يتحدثون بلسان واحد والكافرون يتحدثون بلسان واحد ساق الله سبحانه قصة كل منهم وبنهاية محتومة تحيط بالكافرين، ﴿ وَمَآ

---

(١) سورة الصف، الآية: ٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات من: ١٠٥ – ١٢٢.

أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ
لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ
وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ
أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ
رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ

لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [١]. وما جاء في سورة هود من قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٢]. إلى قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [٣].

إذن حركة البشر في هذه الحياة بدأت مهتدية راشدة منذ أبيهم آدم – عليه السلام – ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [٤]. وقوله: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ۘ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٥].

هكذا كانت القرون الأولى كما أخبر ابن عباس – رضي الله عنهما – بين آدم ونوح على الإيمان ثم طرأ الشرك على البشر فانقسم الناس إلى مؤمن وكافر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [٦] إذن فمن الثنائية التي مرت معنا وما تبين من خلال ما ذكرنا أنه لا بد من خالق ومخلوق وأن الشأن بالنسبة للمخلوق الذي يريد السلامة لنفسه أن يقف عند أمر الله ونهيه لتنتظم تلك العلاقة بين الخالق والمخلوق.

الخالق يوجه والمخلوق يعمل بمقتضى ما يؤمر، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات، ١٣ – ١٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٥.

(٣) سورة هود الآية: ٩٩.

(٤) سورة طه الآية: ١٢٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٦) سورة التغابن، الآية: ٢.

مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (١).

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٢).

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣).

لذا ينبغي أن يكون السير وفق هذه العلاقة الواضحة والنظام الذي تؤسس عليه لا يحيد عنه إلا هالك.

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي .. كتاب الله وسنتي» (٤)

«وقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» (٥).

وهذا هو الذي جاء مجملاً في هذا الدعاء العظيم ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ هذا الصراط هل هو مسلوك أو متروك؟

بين جل جلاله أن هناك من البشر من سلكه، وهناك من أعرض عن سلوكه.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾.

إذن السالكون: هم الذين لم يغضب الله عليهم ولم يضلوا عن سواء السبيل.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

(٤) صحيح الجامع، ٢٩٣٤.

(٥) ابن ماجه وأحمد.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ : الذين أنعم الله عليهم بالتوفيق للإيمان والعمل الصالح، والتوفيق للزوم الصراط المستقيم.

هؤلاء هم الذين ينبغي أن يكونوا قدوة في الحركة. ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [1].

هؤلاء الذين سلكوا الصراط المستقيم، أما الآخرون فقد تنكبوا هذا الصراط وهم الموصوفون بالصفات التي بينها النص الكريم: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فأما المغضوب عليهم فهم اليهود والضالون هم النصارى.

عن عبدالله بن شقيق، أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى، وهو على فرسه، وسأله رجل من بلقين، فقال: يا رسول الله: من هؤلاء؟ قال: «**هؤلاء المغضوب عليهم**» فأشار إلى اليهود. فقال: من هؤلاء؟ قال: «**هؤلاء الضالون**» يعني النصارى [2].

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) أخرجه أحمد.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

أهل الكتاب صنفان اليهود والنصارى وبهذا البيان العجيب الذي تتضح فيه معالم الطريق للعقلاء الأسوياء للسير إلى مرضاة الله ويدركون نعم الله عليهم وأعظمها نعمة الإيمان .. ويدركون قيمة هذه النعمة ويعملون ليل نهار لشكر هذه النعمة خشية أن تزول ويفرقون بموجبها بين الحق والباطل.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (١).

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٣).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٤).

بهذا البيان الواضح الجلي الذي حوته سورة الفاتحة وهي السورة العظيمة التي امتنّ الله سبحانه وتعالى على رسوله – عليه السلام بإنزالها عليه.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

هذه السورة الكريمة التي حوت خلاصة هذا الكتاب الكريم وتركزت فيها سبل الهداية وجعلت من يدرك معانيها بصورة صحيحة يتمكن من الحركة السوية وتبعده عن الزيغ والضلال وقد قيل: إن مضمون كتب الله قبل القرآن الكريم قد جاء في القرآن الكريم، وقد جاء مقتضى ما في القرآن في سورة الفاتحة أم الكتاب والسبع المثاني ..

فمتى ما استقرت هذه الحقائق في ضمير البشرية أيقنت البشرية أن حركة حياة البشر لا بد أن تؤسس على دين الله تبارك وتعالى وأن من يتنكب هذا الطريق ويؤسس حياته على غيره من الأهواء والضلالات والخرافات كان حقاً من أولى الناس بوصف الخاسرين؛ لأنه بعد هذه الدنيا الفانية القصيرة التي يسلك فيها الناس مسالك شتى وفقاً لإدراكهم للحقائق السابقة في قوله جل جلاله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾[1].

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍ ۝٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ ﴾[2]. فالناس بعد هذه الرحلة: ﴿ فَرِيقٞ فِي

(١) سورة الليل، الآيات: ١ – ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٠ ، ٢٠١.

ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [١] . وأهل الجنة وإن كانوا سعداء فإنهم متفاوتون كما في سورة الرحمن: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [٢].

عن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٧.

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ٤٦ – ٧٨.

عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال صلى الله عليه وسلم: «**لقد قرأتها على الجن ليلة فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد**» (١).

وفي الواقعة: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤ ﴾ (٢).

من يؤمن بأنه موقوف محاسب بين يدي الله، وأنه إما أن يكون سعيداً أو شقياً ويتأمل قوله جل جلاله: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ (٣).

يعلم يقيناً أن سبيل النجاة هو ما ذكرت، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾ (٤). ما

---

(١) سنن الترمذي، ٢٦٢٤ وقال حسن صحيح.

(٢) سورة، الواقعة، الآيات: ٧-١٤.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ٣٧-٤٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧- ٦١.

مضى كان في شأن البشر.

أما الجن فقد أخبر عنهم جل جلاله في قوله: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧ ﴾ (١).

وآيات الجن في الأحقاف ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩

(١) سورة الجن، الآيات: ١-١٧.

قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١).

ورد الجن عند سماعهم سورة الرحمن يدل على مبلغ تأثير الإيمان الذي يحول صاحبه من حال إلى حال من كسل إلى نشاط ومن سلبية إلى إيجابية ومن تقاعس إلى مبادرة ومن عدم مبالاة إلى منتهى اليقظة والإحساس.

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢). مقارنة فريق المؤمنين وفريق الكافرين وقوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٣) وقوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (٤). إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تجلي الفرق الواضح بين من آمن وبين من كفر، من آمن حي القلب يقظ واع منتبه طالبٌ

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩- ٣٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٦.

ما عند الله، فاعلٌ كل ما يرضيه مطمئن بذكر الله قلبه رطب بذكر الله لسانه عاملةٌ لله جوارحه، أما الكافر فالعكس من ذلك كله قلبه ميتٌ (عياذاً بالله) وجوارحه لا تعمل لله فشتان بين حياة هذا وحياة ذلك.

والسر في هذا التفاوت العجيب بين مسعى كل من الفريقين في الحياة يجليه الله سبحانه وتعالى للناس في مقارنات عجيبة بين طبيعة حياة المؤمنين الموقنين وحياة الكافرين المعرضين عن الله يقول جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾[1].

هذا هو النموذج البشري السوي الذي أحيا الله قلبه بالإيمان أما الكافر: فيمثل حركته في الحياة قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨ ﴾[2].

فإذن: الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم المفلحون: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾[3]. أما الكافرون فهم الخاسرون، كما في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾[4].

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٤٢- ٤٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٤) سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨.

المؤمنون تثقل موازينهم يوم القيامة عندما ينصب الله الموازين للحساب ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١).

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ (٢).

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣).

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٤).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (٥).

كل هذه النصوص وغيرها في كتاب الله كثير تؤكد على أهمية تأسيس حركة الحياة على الإيمان ولا يمكن تأسيس حركة الحياة على الإيمان ما لم يكن ذلك قائماً على كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

□□□□□

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٤٧.

(٢) سورة القارعة، الآيتان، ٦، ٧.

(٣) سورة الغاشية، الآيات: ٨ – ١١.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان، ١٠٢، ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

سورة البقرة

ولننظر إلى مقدمة سورة البقرة: وهي السورة التي تلي الفاتحة وفصلت بينهما البسملة وقد مضى تفسيرها، ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ بداية لافتة للنظر، بدأت سور أخرى كثيرة بها: (ألم - ألمر - طه - طس - كهيعص - المص - ص - ق - حم).

هذه البدايات العجيبة أصح أقوال العلماء فيها أنها مما استأثر الله بعلمه، وأن الإيمان بها لا بد أن يماثل الإيمان بنصوص القرآن الأخرى التي استأثر الله جل جلاله بعلم معناها، وتعدد أقوال العلماء في معناها لا يغنى من الحق شيئاً، فالحق أنه: مما أستأثر الله بعلمه فهذا يعني الخوض فيما لا طائل تحته.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ بعد ذكر هذه الحروف العجيبة يأتي التنويه بكتاب الله، ذلك إشارة إلى المقام البعيد، والمنزلة العالية البعيدة التي يحتلها كتاب الله دستور المؤمنين.

﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ هذا الكتاب قطعاً هو كلام الله وقطعاً لا ينبغي أن يتطرق الشك إليه.

ما حقيقته؟ ما أثره، في حياة الناس؟

﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ كتاب جعله الله جل جلاله هدى للمتقين ولما كان هذا القرآن هدى، فإن الاقتداء به هو قوام الحياة.

﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ (٢) .

هدى لمن؟ لأقوام جعل الله لهم أهلية الانتفاع به وهداهم إلى سبل إدراك معانيه وتدبره، والحرص على إقامة معانيه في حياتهم.

من هم؟ من هؤلاء؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٣) .

هؤلاء بهذه الصفات العظيمة والخصال الكريمة يصفهم الله بما يستحقون: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ (٤) .

في هذه الدنيا، في هذه الحياة يسلكون سلوكاً مؤسساً على الحق والهدى والنور فهم في هدى لا في ضلال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ . في الآخرة يفوزون برضوان الله وجنته هل بعد هذا فضل؟ لا والله إن هذا لهو الفضل العظيم.

ما ينبغي أن تضيع ثانيةٌ من أعمارهم في غير طاعة الله، ويقابل هذا الفريق الحي، هذا الفريق الإيجابي، هذا الفريق العامل لله الذي يملأ قلبه رجاء

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة البقرة، الآيتان، ٣، ٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٥.

ما عند الله والخوف من عقوبته يقابل هذا الفريق فريق آخر من الناس جاء بيان حالهم في مقدمة هذه السورة الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ (١) . وهذا هو الفريق الأول من الكافرين، ثم يأتي الفريق الثاني وهو أخطرهم وهو فريق المنافقين، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) . فقد ساق قصتهم وحالهم التي يتلوها قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾ (٣) . وهنا ينبغي أن تتوقف قليلاً لدى هذه الثنائية العجيبة، فالمؤمنون يستجيبون عملاً بقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ ﴾ (٤) .

أما الكافرون المعرضون عن الله فقال عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾ (٥) . لكن الكفار والكفر وإن كان ملة واحدة فإن أصحابه متفاوتون في الدركات عياذاً بالله، وأخطر فئتين من الكفار: فئة المنافقين لمبلغ إفسادهم في الحياة، ولسوء

---

(١) سورة البقرة، الآيتان، ٦، ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأنفال الآية: ٢٤.

(٥) سورة يونس، الآيتان، ٧، ٨.

مسلكهم فيها، ولجُبنهم ولغير ذلك من الصفات الذميمة التي وصفهم الله بها في كتابه الكريم وأوسع سورة تعرضت وتوسعت لبيان حقيقة المنافقين هي سورة التوبة ويليها المنافقون فقد جسدت هاتان السورتان حقيقتهم وكشفت عن دخائل نفوسهم، فقدمت نماذج واضحة من سلوكهم المشين والآثار الفادحة التي يتركونها على الحياة، هؤلاء مصيرهم بينه الله جل جلاله بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (١).

مقدمة السورة الكريمة تحدثنا عن موقف الناس من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وقسمتهم إلى ثلاث فرق:

١- المؤمنون ووصفتهم بما يستحقون من الصفات.

٢- والكافرون ووصفتهم بما يكشف عن حقيقة شخصيتهم العامة.

٣- والمنافقون بعد ذلك وهم الصنف الأخطر بعد الكافرين؛ لأنهم قالوا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (٢). جمعوا بين الكذب وبين الإعراض عن هدى الله جل جلاله.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (٣).

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦٩.

عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [١].

فالله الرحيم بعباده والخبير بهم اللطيف بهم جل جلاله يأمر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بدعوتهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢]. يشمل (المؤمن والكافر والمنافق).

هذا أول أمر في كتاب الله ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ لماذا؟ لأنه الذي خلقكم ورزق وأحيا وأمات وهو الذي يجازي الناس على أعمالهم يوم القيامة.

﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٣].

الذي يفعل هذا كله هو المستحق للعبادة وهو المعبود بحق، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [٤]. وشفع الأمر بالعبادة بالدليل على أنه الخالق المتفرد بالكمال، ولا ينبغي أن يشرك معه أحد ولهذا جاء بعد تعداد النعم السابقة التي ينطلق الشاكرون المعترفون بها إلى الإيمان به جل جلاله.

ويأتي الحديث بعد ذكرها بأول نهي عظيم في كتاب الله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

إذن في أول السورة الكريمة الأمر كله متعلق بالإيمان والتقوى والصلاح والفلاح وبيان لفساد حياة من لا يفعل ذلك التوحيد المتمثل في عبادة الله وحده ومؤسس على أنه لا معبود بحق إلا الله، وما تضمنته شهادة الحق لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله هو أس الفضائل وهو أس خصال الخير وأس الفلاح والصلاح وعكسه الشرك الذي ورد النهي عنه في النص الكريم: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ الشرك هو أس الرذائل وأقبح الأفعال وهو ما لا يغفره الله جل جلاله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [٢] والنص الآخر : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [٣] .

هنا أمرٌ بالعبادة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ والعبادة: معنى شامل: يشمل الاعتقاد الجازم والاعتراف باللسان والعمل بالجوارح اعترافاً جازماً بأن الله وحده هو المستحق للعبادة والإيمان بذلك في دخيلة نفس المؤمن والإقرار بذلك باللسان يشمل شهادة الحق أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم تأسيس الحياة وإعمار الأرض وفق أمر الله ونهيه وهو العمل الصالح، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [١].

إذن: الأمر بالعبادة يتطلب من المؤمن الامتثال، وألا يفقده الله حيث أمره ولا يجده حيث نهاه.

والنهي عن الشرك: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقتضي من المسلم البعد كلية عن الشرك، لحديث: «**أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» .. ولو لم يكن في كتاب الله من البيان فيما يتعلق بإقامة الحياة على الصراط المستقيم الصراط السوي، إلا هذه النصوص لكان ذلك كافياً في إقامة الحجة على الناس.

لم يبق إذا إلا أن ينظر الناس في سورة (العصر) وهي من أقصر السور.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾ [٢] ، كل جنس الإنسان خاسر، هؤلاء عندما يحققون الكمال لأنفسهم بالإيمان والعمل الصالح يسعون لتحقيق الكمال لغيرهم وهذا عمل دعوي شاق لا بد أن يحول بين الناس وأهوائهم فلا بد أن يتعرض فاعله للأذى ولا بد أن ينُال منه كما بين الله جل جلاله في مواقف الكفار مع رسل الله لهم، ولهذا جاء قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ . فمن فعل ذلك بتحقيق الإيمان وعمل مقتضى ذلك من الأعمال الصالحة ودعا الناس إلى ما هو عليه من خير وصبر في

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة العصر، الآيتان: ٢، ٣.

سبيل ذلك كان هو الناجي من الخسران يوم القيامة.

وتأسيس الحياة على الإيمان بالله والعلم به جل جلاله: هو مقتضى قول الله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ (١)، فمن آمن بالله حقاً وعمل صالحاً استحق ولاية الله، ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢). فلذلك أمر الله فئة المتقين بالمسارعة إلى الجنة، ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (٣).

وهم الذين استحقوا التكريم كما في قوله جل جلاله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (٤).

طائفة من البشر نرى وصفاً دقيقاً لحياتهم المختلفة فكلها مؤسسة على الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وختمت ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ ﴾ فإذن: يتحصل مما سبق أن معاني القرآن كلها: وهدايته في نواحي الحياة المختلفة تنتهي إلى هذا المعنى.

ولعلنا فيما يأتي نبسط القول في صور الهداية التي اشتمل عليها الكتاب الكريم بعدما يهيئ الله من تقديم مناسب، والقرآن الكريم الذي بينا أهمية:

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

إقامة الحياة على أساس من المعاني التي تضمنها، وتأكد من خلال النصوص السابقة ظهور الدلائل والبينات الواضحة على أنه كلام الله وأنه كتابه الذي أنزله على الرسول – عليه الصلاة والسلام – ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [١]. وأنه لا شك في ذلك، ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [٢].

وقد تحدى الله الكافرين بالإتيان بسورة من مثله، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٣].

وهذا التحدي جاء في كتاب الله في مواضع عديدة فقد جاء قطع طمع الكافرين في أن يصلوا إلى الإتيان بسورة من مثله تحدياً لهم وإعجازاً، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [٤]. وما دام أن القرآن حق، وأنه كلام الله وأنه الكتاب المهيمن على كل كتاب وأنه المعجزة الكبرى الخالدة في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الكافرين لا يستطيعون معارضته ولا يستطيعون الإتيان بسورة من مثله، فكان الأولى في حقهم وفي حق من يعقل أن يؤمن به، وأن يصدق به، وأن يعمل بمقتضاه وإلا عرض نفسه

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

(٢) سورة البقرة، الآية، ٩٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

لعذاب الله الأليم، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١).

فإن لم تستطيعوا الإتيان بسورة من مثله ولم تؤمنوا أن القرآن كلام الله وخاتم كتب الله المنزل على خاتم رسله. ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾.

أعدت للكافرين لأصنافهم جميعاً فلم يبق إذاً إلا فريق واحد وهم المؤمنون فجاء في النص الكريم قول الله جل جلاله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢).

سبحان الله ما أعظم هذا الكتاب وما أشد ترابط معانيه وأدلته على الغاية التي من أجلها أنزل هداية كاملة في كل شأن من شؤون الحياة، ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (٣).

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] .

وهذا القرآن الكريم نوّع الله فيه الأمثال حتى تتبين فيه الحقائق الواضحة بتقريب المعاني عن طريق عرضها في صورة حسية يجسدها المثل، وكان هذا الأسلوب من الأساليب التي لم تكن تروق للكافرين ولكن الله اللطيف بعباده الرحيم بهم يبين لهم أنه يضرب مثلاً بما شاء، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2] . فالناس في استقبال هذا فريقان:

١- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ .

٢- ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾ .

وبعد الأدلة الواضحة والبينات الساطعة على صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه حق يسأل الله الكافرين سؤال تقريع وتقرير وتوبيخ وإنكار، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ . كيف تكفرون بمن هذا صنيعه؟ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ كيف يكفر الناس بمن خلقهم وخلق لهم كل شيء، خلق السموات والأرض وهما خاضعتان مطيعتان لله جل جلاله، ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (١).

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢). وعلى هذا هل يصح من عاقل أن يعبد مع الله غيره، وإذا كان ما مضى هو تفصيل خلق الله للكون السماء التي تظلهم والأرض التي تقلهم.

ناسب أن يأتي بعد ذلك الحديث عن البشر الذين يعمرون الأرض حيث ساق الله جل جلاله قصة خلق آدم، ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن

(١) سورة فصلت، الآيات: ٩- ١٢.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١) . هذه القصة سيقت في نصوص عديدة.

لقد كان خلق آدم – عليه السلام – وما صاحبه من تكريم منقطع النظير وما تلا ذلك من الصراع بين الحق والباطل بين إبليس الملعون الذي امتنع أن يسجد لآدم كما أمره الله وأقسم: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢) . وما ترتب على إغواء أبينا آدم وأمنا حواء وإنزال الله لهما إلى الأرض على الوجه الذي أمرهم الله به .. بدأت قصة الصراع بين الحق والباطل وبدأت الحركة على الوجه الذي بينه الله في مواضع كثيرة من كتابه حيث بدأت البشرية بداية إيمانية من إهباط أبينا آدم

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣٠ – ٣٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

وأمنا حواء إلى الأرض وتوالت رسل الله بعد نوح – عليه السلام – إلى دعوة من أعرض عن الحق إلى الإيمان برسل الله صلوات الله وسلامه عليهم حتى يستحق الناس منزلة التكريم التي وضعهم الله فيها كما تكريمه الذي صاحب خلق آدم كما في قوله جل جلاله: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (١) .

وهذا التكريم في حقيقة الأمر ينبغي أن يقابله الناس بشكر الله على تفضيله إياهم وتكريمه لهم. فقد استحق بنو آدم الذين آمنوا بالله ورسوله وبالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم استحق هؤلاء شرف النسبة لآدم دون غيرهم كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢) .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٣) . وصاحب قبل نزول آدم إلى الأرض أمر الله لهم باتباع ما شرع، ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان، ٢٦، ٢٧.

مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1].

وهكذا بعد هذه المقدمة العجيبة لسورة البقرة التي تضمنت بيان انقسام الناس إلى مؤمن وكافر حيال أمر الناس لعبادة الله وحده لا شريك له ونهيهم عن الشرك به، وما تضمنته من خلق الله للسموات والأرض وخلق آدم وما صاحب خلقه من تكريم له، وما حدث من إغواء إبليس، ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [2].

بعد هذا التسلسل العجيب في سياق السورة وبيان ارتباط حركة الحياة وانتظام حركة الحياة على الصورة السوية بالوقوف عند أمر الله ونهيه وفساد حياة من لم يسلك هذا الطريق بدأت السورة بوصف الأقوام الذين عمروا الأرض وكانت حياتهم موضع بسط في مواضع كثيرة تجلت فيها سنن الله لا تتغير ولا تتبدل في حياة المجتمعات البشرية، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [3].

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة البقرة، الآيات، ٣٦-٣٨.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

﴿ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [١] . هذه السنة قضت بأن يستأصل الله الكافرين وينجي المؤمنين من عذاب الاستئصال الذي تعرضت له أمم كثيرة واحدةً تلو الأخرى بدءاً بقوم نوح كما جاء بيانه في سور كثيرة من القرآن وفي هذه السورة الكريمة يلفت الله نظر بني إسرائيل إلى نعمه تعالى عليهم إذ يقول: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [٢] . وقد سجلت سورة البقرة مخازيهم وما وصفهم الله به من خصال ذميمة لا يزال البشر يسجلونها عليهم حتى اليوم ورسل الله الذين هم شهود على البشرية قد ختموا بالرسول صلى الله عليه وسلم، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ ، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [٣] .

وهذا الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن العظيم فيه بيانٌ لكل ما يصلح هذه الحياة في جوانبها المختلفة، في جوانبها الاعتقادية والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، بل في كل جانب كما مر من قبل، ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٤] .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [٥] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

(٤) سورة النور، الآية ٣٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ (١) .

يهدي إلى صراط مستقيم صراط الله العزير الحميد يهدي لتقويم العلاقات وأولها علاقة العبد بخالقه وعلاقته بنفسه، وعلاقته بأسرته ومجتمعه، وعلاقته بمن يعيشون حوله بمخلوقات الله المختلفة، وهذا الترابط العجيب القائم على الإيمان الذي يربط بين مخلوقات الله فيجعل الألفة والمحبة بينهم، أمر عجيب حقاً ويغفل عنه الناس ولا ينتبهون له، ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩ ﴾ (٢) .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٣) .

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ ﴾ (٤) .

كل مخلوق لله مسبح له طوعاً أو كرهاً فمن سجد لله طوعاً واختياراً فهو الذي هيأ الله له أسباب القدرة على الانتفاع بما وهب له من وسائل الإدراك والمعرفة. ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الصف، الآية: ١.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

هذه الوسائل تمكن من أخضعها للاستماع القائم على معرفة الحق للإيمان بالخالق جل جلاله، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾ (١).

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤ ﴾ (٢).

هذه الوسائل من استخدمها الاستخدام السويّ الصالح قادته إلى الإيمان بالله والعمل بمقتضى ما يرضيه.

أما الذين عطلوها فهم الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون.

وجميع ما في القرآن العظيم من الهداية يتلخص (بأن الله هو الحق) وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، وأن الله هو العلي الكبير، وأن الله الذي خلق الخلق لعبادته، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ (٣). بسط لهم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

سبل الهداية التي تكفل لهم حُسن السير على الطريق السوي وأرسل لهم الرسل كلما ران على فطرهم ما يحول بينها وبين إدراك الحق، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (١).

هذه الفطرة التي جُبلت على الإيمان بالله، قد تحول بينها وبين إدراك الحق ملابسات بينها الرسول – عليه الصلاة والسلام – في قوله: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**» (٢).

وإذا كان من شأن العقلاء أن يعلموا يقيناً أن السبيل الأمثل لإصلاح حياتهم إنما هو تأسيسها على الإيمان بالله، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (٣). ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (٤).

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ (٥)، إذن تأسيس الحياة على التوحيد المطلق هو: أس كل

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة الذاريات الآية: ٢١.

خير وأس كل نجاح وفلاح، والخروج عن هذا الطريق أس الشر إذ الشرك هو أس الرذائل وسبيل الضياع في الدنيا والخسران في الآخرة، وقد بسط الله سبحانه الأدلة الكونية والعقلية والتاريخية على هذه الحقائق، ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١)، ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٢). سواءً كان ذلك من خلال السور التي ذكرت ما ينبغي أن تقوم عليه الحياة في أبعادها المختلفة، وكل الأحكام التي يؤسس عليها العمل والبناء في الحياة لتنظيم الحياة الاجتماعية كما في سورة البقرة والنور وفي بيان حقيقة ما شرع الله، ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٣). وكذلك بين جل جلاله ضلال من اتخذ آلهة تشرع من دون الله، ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (٤).

ومن ثم كان جماع الخير والفضل والإصلاح أن يجعل الإنسان هداية القرآن في كل شأن من شؤونه هي مناط اهتمامه ومنتهى ما يطمع أن يكون وسيلته إلى الله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٢١.

وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١).

وهذا التنظيم الدقيق الذي تحدثنا عنه فيما مضى لحياة الناس بدءاً بعلاقات العبد بربه جاء بيانه في كتاب الله الكريم في سورة شاملة كاملة واضحة تمكن من وقف عندما جاء في الكتاب الكريم من أن يعطي كل ذي حق حقه.

فيما يتعلق بحق الله جل جلاله وأولى الناس في الحق على الإنسان بعد الله حق الوالدين، ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢).

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٣).

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (٤).

فيما يتعلق بحق نفس الإنسان عليه قال جل جلاله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ (٥).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

وفيما يتعلق بحقوق الأولاد قال جل جلاله: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (١).

وفيما يتعلق بالقرابات، ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢).

وفيما يتعلق بالجيران، ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣) إذن كل هذه العلاقات منظمة تنظيماً دقيقاً يكفل القيام بكل حق لصاحبه وفي النصوص السابقة وغيرها كثير في كتاب الله ما يكفي. وأصل علاقة الإيمان بالله هو: الرابط الذي يجمع بين المسلمين كما في قوله جل جلاله: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (٤).

وفي سير العبد في طريقه إلى الله قيام بحق الله الواجب عليه كما أخبر الرسول

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

صلى الله عليه وسلم: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله**» قلت الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**» (١).

هذا الدين إذا وقف الإنسان عند أمر الله فيه ونهيه يرقى لمراتب الكمال من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان.

الإسلام أركانه الخمسة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. ونصوص القرآن في بيانها أكثر من أن تحصى.

والإيمان وأركانه الستة كما في قوله جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ (٢).

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (٣).

وفي الحديث كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله**

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

وتؤمن بالبعث الآخر» قال يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: **«الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان»** قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك»** قال يا رسول الله: متى الساعة؟ قال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا** ﷺ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ: **«ردوا علي الرجل»** فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً فقال رسول الله ﷺ: **«هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»**[1] . حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمي بهذا الإسناد مثله غير أن في روايته إذا ولدت الأمة بعلها يعني السراري.

الإحسان: مرتبه عالية أو منتهى مراتب الإسلام الثلاثة وهو: أن يستحضر الإنسان وقوفه بين يدي الله، وأن يستشعر الرقابة الذاتية وأنه كما قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

---

(١) رواه مسلم.

هذه الرقابة الذاتية والخوف من الله، واستشعار عظمته، وأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾[2] تدفع الإنسان إلى أن يصل إلى كل المراتب العليا التي يطمح إليها المسلم.

وقد تكررت الإشارة في القرآن كثيراً إلى ذكر أركانه كما في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وفيما يتعلق بالحج: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١٩٦﴾[3].

وبالصوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾[4].

الإسلام بمراتبه الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان فصل تفصيلاً دقيقاً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٩٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

كاملاً في نصوص القرآن العظيم وهي ولله الحمد بين أيدينا وبيانها وتفصيلها في كتاب الله فلم يبق إلا الرجوع لها كما في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك يدل على تنظيم دقيق للعلاقة بين العبد وربه والنصوص الأخرى التي تبين حقوق العباد سواءً منهم من كان قريباً أو بعيداً، والمجتمع المسلم يتميز علاقات أفراده لذلك جاء تنظيم حياته بدقة في كتاب الله كما في قوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

مما يعني أن من وقف عند هدي القرآن والسنة المبينة له، تمكن أن يقيم حياته على أسس صحيحة تؤهله لمرضاة الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وتمكنه من يسر الحياة ورخائها في هذه الدنيا.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ (٢). ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٣).

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٩- ١٠.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (١) .

إذن يتلخص مما سبق أن الله جل جلاله هو وحده المعبود بحق لا معبود بحق سواه، وأن من عداه من مخلوقات الله هم طائعون خاضعون له قهراً أو اختياراً.

والعاقل هو الذي يختار لنفسه شرف العبودية وشرف إكرام الله له بالنسبة لعبوديته جل جلاله، ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢) .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (٣) .

وقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٤) .

هذه العبودية عبودية تكريم ويستحقها الذين قاموا بالعبادة على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى وكما مر بنا من قبل أن الإنسان أو المخلوق القاصر العاجز المكلف بعبادة الله تتناوشه أمور كثيرة قد تحول بينه وبين السير في الطريق المناسب، ومن أخطر هذه المعوقات الشيطان. وقد حذر الله من

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

الشيطان في مواطن كثيرة وبين جل جلاله أن الشيطان يتبرأ من الإنسان يوم القيامة، ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١).

والهوى واتباعه من مفسدات الحياة، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢).

والنفس الأمارة بالسوء، ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٣).

وبيان هذه المعوقات فيه تمكينٌ للعابد من أن يتخذ من الاحتياطات ما به يتجنب أذاها، وما به ينجو من سلطان الشيطان، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٤).

من حقق العبودية لله ليس للشيطان عليه سبيل، ومن زكى نفسه وطهرها عن الدنس ارتقت به مراقي الدرجات العليا، ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ (٥). ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٥) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [١].

والحذر من الهوى كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ..**» [٢] وفي قول الله جل جلاله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٣].

كل تلك المعوقات ينبه الإنسان إليها في هذا الكتاب الكريم حتى لا تحول بينه وبين السير على هدى الله حتى فيما يتعلق بالمشارب والمآكل، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [٤].

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٥].

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [٦].

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩ ، ١٠.

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١٥) بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٥) سورة الأعراف الآية: ٣٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا ما أحل الله: «**إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه. ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» (١).

فالمؤمن الذي يريد أن تتقد جذوة الإيمان في قلبه وأن يكون قلبه معلقاً بالله عليه أن يتبع الرسول – عليه الصلاة والسلام – الذي بين أن الله أحل الطيبات وحرم الخبائث، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٢).

هذا طريق واضح جلي ليس فيه غبش ولا ظلام، من أراد النجاة والسلامة من الآثام ما عليه إلا أن يحب الله وأن يسلك سبيل تحقيق هذه المحبة، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (٣).

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (٤).

---

(١) (البخاري ٢٠٥١) (مسلم، ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنه.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

هذا هو ما ينبغي أن يطمح إليه العقلاء ولا سبيل إلى ذلك إلا بسلوك طريق الرسول – عليه الصلاة والسلام – الطريق الوحيد التي يضمن سالكها الوصول إلى مرضاة الله، ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١).

ومع كل ما سبق بيانه من ضرورة الحرص على السير على الصراط المستقيم فإن الله اللطيف بعباده الخبير بهم يعلم أنه قد يقع من بعضهم خطأ وقد يرتكب بعضهم من الذنوب والمعاصي ما يُكدر ويجعل سيره في الطريق إلى الله غير سويٍ ومن ثم فإن الله سبحانه وتعالى قد منح هذا الإنسان فرصة مفتوحة للتخلص من كل ذنب ارتكبه وهي التوبة الصادقة النصوح، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣).

فالذنوب كلها كائناً ما كان حجمها سوى الشرك يغفرها الله وهذه – والله دعوة صادقة لتجديد الحيوية والنشاط في السير في الطريق إلى الله جل جلاله.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [١] .

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [٢] .

هذه السيئات التي تراكمت يحولها إلى حسنات بالتوبة النصوح والتوبة النصوح لها ثلاثة شروط فيما يتعلق بحق الله.

- الإقلاع عن الذنب فوراً.
- والندم على ما فات.
- وعقد العزم على ألا يعود.

أما بالنسبة لحقوق العباد فعلى المرء أن يطلب من صاحب الحق العفو عن حقه، وبين الله جل جلاله أن: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ .

وهو سبحانه «**يمد يده آناء الليل ليتوب مسيء النهار، ويمد يده آناء النهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» [٣].

وهو «**أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**» [٤].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٣) (مسلم ٢٧٦٠) من حديث أبي موسى.

(٤) البخاري ومسلم.

وهو سبحانه القائل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١) .

بحكم القصور البشري، «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»(٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم: يستغفر في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» وفي رواية: أكثر من مئة مرة (٣).

والتوبة والاستغفار من أسباب الرزق، ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٤) .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٥) .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٢) صحيح الجامع ٤٣٩١.

(٣) (البخاري ٣٢٥٥) من حديث أبي هريرة، (مسلم ٢٧٠٢) من رواية الأعز بن قيس.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠ – ١٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٦) سورة المائدة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

هذا الباب الواسع من رحمة الله وهي رحمة عظيمة، ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [١] .

وما بينه سبحانه في الحديث القدسي (إن رحمتي سبقت غضبي) والطمع في حصول هذه الرحمة ينبغي أن يكون الشغل الشاغل للسير في طريق الله. ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٢] . ولكن ينبغي على العبد الذي علق قلبه بالله وطمع في رحمة الله أن يأخذ بأسباب الرحمة كما قال: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ .

وينبغي أن يظل مع سعة الرجاء في الله على وجل وخوف شديد من عقاب الله وشديد عذابه، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [٣] .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

إذن إدراك هذه المعاني على الوجه الصحيح كما هو في القرآن والسنة مما تفضل الله بتمكين العباد منه، ونعمة الهداية للإيمان وسلوك الصراط المستقيم تمثل بداية صحيحة كاملة وعوناً عظيماً للعبد لأن يسدد خطاه وأن يعود نشيطاً كثير العمل لله سبحانه عندما يعثر، ويعلم أن له رباً يغفر الذنوب كما أخبر الرسول في الحديث القدسي، هو من جوانب الهداية العظيمة في الكتاب والسنة صورة من صورة الهداية التي بسطها الله فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي بشقيه ولا يعرض عنه إلا ذو نفس غير سوية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ﴾ [١] . ولتقرأ قول الله جل جلاله البالغ الحفاوة بالمؤمنين: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤ ﴾ [٢] .

ما أعظم هذه البشارة، ما أجلها في نفوس المؤمنين، وما أجدرهم بأن يعرضوا أنفسهم لنفحات الله وكرمه.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ «**قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» [٣].

---

(١) سورة الإنفطار، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٣) البخاري من حديث أبي هريرة، وانظر صحيح الجامع، ٤٣٨٩.

تلك هي هداية القرآن في مجملها والقرآن العظيم بالغ التأثير في الناس، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١).

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢).

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣).

فلم يبق بعد هذا للعقلاء إلا أن يوثقوا صلتهم بهذا الكتاب الكريم تلاوة وفهماً وتدبراً وعملاً، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٤).

وخير ما نختم به هو قول الله: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٤) سورة ق، الآية: ٣٧.

ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1].

وهو ختام يناسب الكشف عن هداية القرآن بصورة مجملة لعل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يجزي من قرأها وسمعها خير الجزاء.

□□□□□

(١) سورة القصص، الآية: ٩١.

أهـم المصادر

١- القـــرآن الكـــريم.

٢- السنة النبوية المطهـــرة.

□□□□□

الفـــهرس

المقدمة ٥

شرط الهداية في البسملة ١٢

شرط الهداية في الفاتحة ٢٠

شرط الهداية في سورة البقرة ٥٣

شرط الهداية في عموم القرآن الكريم ٦٨

أهم المصادر ٩١

الفهرس ٩٣

□□□□□

INP
شركة مطابع نجد التجارية
تلفون : ٤٤٨٨٠٢٤ - ٤٤٨٨٠٢٦ فاكس: ٤٤٨٠٧٥٥